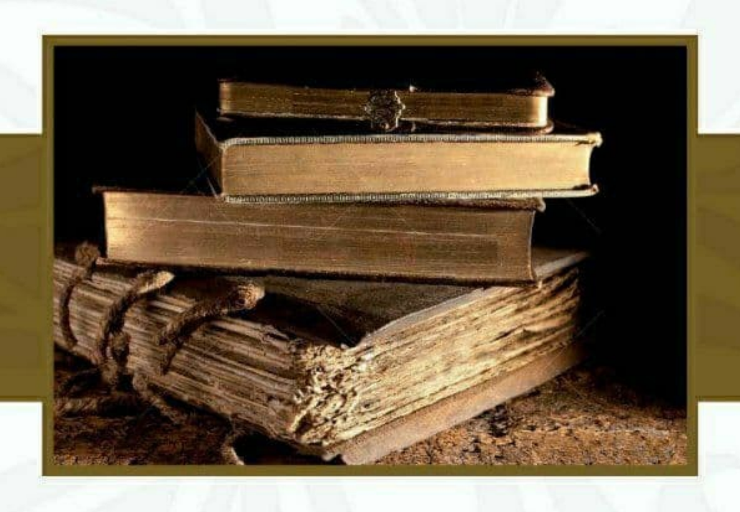
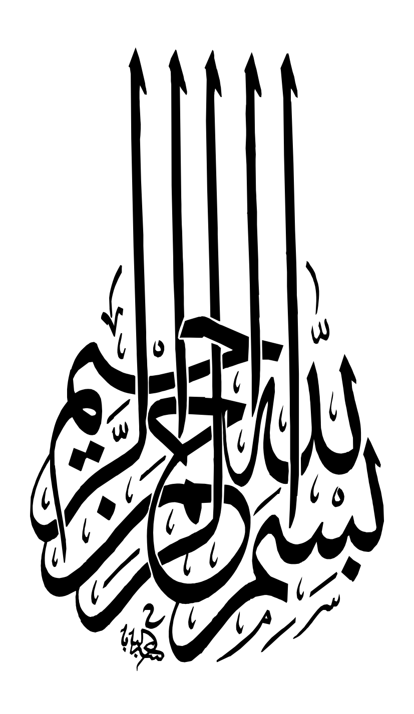
معالم إرشادية للقراءة في كتب علل الأحاديث النبوية

د. نبيل بن أحمد بلهي
أستاذ الحديث وعلومه
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية



أصل هذه المادة العلمية محاضرة ألقيت في «خميسية النخبة»، قسم التفسير والحديث، كلية الشريعة، جامعة الكويت.

١٨ محرم ١٤٤٣هـ / ٢٦ أوت ٢٠٢١م


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإنَّ علم علل الحديث علم شريف ودقيق وخطير، لتعلُّقه بأحاديث النبي ﷺ، وتصحيح نسبتها إليه، ونفي الكذب عنها، وتوقِّي الخطأ فيها، وهو علم قائم بحد ذاته له كتبه، ورجاله، وقواعده، وهو **خاصٌّ بطلبة العلم، لا يلقى على عامَّة الناس**، خشية الفتنة عليهم.

قال أبو عبد الله الحاكم: "معرفة علل الحديث، وهو علم برأسه غير الصحيح، والسقيم، والجرح والتعديل".(١)

وقال ابن الصلاح: "اعلم أن معرفة علل الحديث من أجل علوم الحديث وأدقها وأشرفها، وإنما يضطلع بذلك أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب".(٢)

وفي هذه المحاضرة التخصُّصية سنعطي معالم إرشادية لطلبة الحديث تعينهم على قراءة كتب علل الحديث والاستفادة منها، نظرًا لصعوبتها على كثير من الطلبة، وعزوف بعضهم القراءة فيها بسبب ذلك، فالهدف منها هو

---

(١) معرفة علوم الحديث، الحاكم: ص١١٢.

(٢) معرفة أنواع علوم الحديث، ابن الصلاح: ص٩٠.

إعطاء المفاتيح التي تفتح ما اسْتُغْلِقَ من كلام النقَّاد في كتب العلل.

ألخِّص فيها **تجربتي** في استقراء كتب العلل والسؤالات، وتدريسي «لمادة دراسات معمقة في علم العلل»، لطلبة الدراسات العليا، في جامعة الأمير عبد القادر.

۞ الأهداف المنشودة من قراءة كتب علل الحديث:

هناك أهداف وغايات نبيلة تجعل طالب العلم، يهتم بالقراءة المستمرة في كتب (علل الحديث)، نلخصها في نقاط:

- لا يمكن لطالب العلم أن يتمكَّن في علم الحديث ونقده، قبل أن يدمن النظر في كتب علل الحديث، فمن فاته ذلك فقد ترك الغوص في الأعماق واكتفى بالاستجمام على السطح فقط، ومن هذا الباب دخل الخلل على بعض المعاصرين إذ قصروا في النظر في كتب العلل، فوقعت لهم أوهام كثيرة في تخريج الأحاديث والحكم عليها.

يقول أبو عبد الله الحُمَيْديّ: "ثلاثة كُتُب من علوم الحديث يجب تقديم الهِمم بها: كتاب «العِلل» وأحسن كتاب وُضع فيه كتاب الدَّارَقُطْنيّ، وكتاب «المؤتلف والمختلف» وأحسن كتاب وُضِع فيه كتاب الأمير ابن

ماكولا، وكتاب «وَفَيات الشّيوخ» وليس فيه كتابٌ".[٣]

◆ الغرض من المطالعة في هذه الكتب هو: تعلُّم طريقة النقاد في التعليل، والاستفادة من مسالكهم في نقد الرواة والمرويات، والوقوف على كيفية توظيف القرائن الإسنادية والمتنية في تمييز الأحاديث.

يقول الشيخ طارق عوض الله: "فكان من اللازم الرجوع إلى كتب علل الحديث المتخصصة، والبحث عن أقوال أهل العلم على الأحاديث؛ لمعرفة كيفية تطبيقهم هم لتلك القواعد النظرية، التي يقوم عليها هذا الباب، ومعرفة فه تنزيلها على الروايات والأسانيد".[٤]

وليس الغرض من ذلك مناطحتهم في الحكم على الأحاديث من باب: (هم رجال ونحن رجال)، فالناقد المعاصر ليس له من المقومات والمعطيات ما يستطيع أن يتجرأ به على مقام أولئك النقاد المبرزين، فيلفظ بمثل تلك العبارات الفجَّة (ليس هكذا تعلُّ الأحاديث يا شعبة، وجدت طريقًا لهذا الحديث لم يقف عليها البخاري، الإمام أحمد أنكر الحديث لأنَّه لم يحسن الجمع بينه وبين الحديث الآخر...)

---

(٣) تاريخ الإسلام، الذهبي: ١٠/ ٦١٧.

(٤) الإرشادات، طارق عوض الله: ص ٣٥.

◆ من أهداف القراءة في كتب العلــل اســتنباط القواعــد والضــوابط والقــرائن التــي يســتعملها النقــاد، وفهــم مصطلحاتهم في النقد والتمييز، وقد قام الدكتور عادل عبــد الشكور الزرقي بشيء مــن ذلــك في رســالته «قواعــد العلــل وقرائن الترجيح» وقد كتبت وريقات في «قواعــد نقديــة مــن خلال كتاب التمييز للإمام مسلم»... والباب لا يزال مفتوحــا لمن أراد الكتابة في هذا الميدان، وهــو اســتقراء كتــب العلــل لاستخراج القواعد والضوابط والقرائن التي يرتكز عليها هذا العلم.

◆ من أهداف وفوائد المطالعة في كتب العلل تكوين الملكة النقدية لدى طال علم الحــديث، واكتســابه الحــس النقــدي الموزون في التعامل مع المرويات.

فطالب العلم إذا أدمن النظر هذه الكتب اكتسب مهــارة تمييز الحديث، ومعرفة مدارها، ومصدر الخطأ والخلل فيها

قال ابن دقيق العيد: "وأهلُ الحديث كثيراً ما يحكُمون بذلك باعتبار أمورٍ ترجع إلى المروي وألفاظ الحديث، وحاصلُهُ يرجع إلى أنَّه حَصَلَتْ لهم لكثرة محاولة ألفاظ الرسول ﷺ، هيئة نفسانية، أو ملكةٌ يعرفون بها ما يجوز أنْ يكون من ألفاظ النبي ﷺ، وما لا يجوز أن يكون من

ألفاظه، كما سُئِلَ بعضهم كيف تعرف أن الشيخ كذَّاب، فقال إذا روى: لا تأكلوا القرعة حتى تذبحوها، علمتُ أنَّه كذَّاب".[٥]

◆ المطالعة في كتب العلل نهدف من ورائها تصحيح كثير من القناعات، **وتنقية رصيد القارئ من الأحاديث** التي كان يظن أنها صحيحة، والوقوف على الأخطاء الخفية التي لا تظهر لغير المتخصص قال عبد الرحمن بن مهدي: "لأن أعرف علة حديث هو عندي أحب إلي من أن أكتب عشرين حديثا ليس عندي".[٦]

وهو في الحقيقة أسلوب العرض على المشايخ الذي انتهجه السابقون، فنحن إذا طالعنا كتب العلل كأننا عرضنا بعض الأحاديث المشتهرة على ألسنتنا على النقاد الأوائل الذي هم تحت التراب.

يقول عبد الرحمن الأوزاعي: "كنَّا نسمع الحديث، فنعرضه على أصحابنا كما يُعْرَضُ الدرهم الزائف، فما عرفوا منه أخذنا به، وما أنكروا تركنا".[٧]

---

[٥] الاقتراح في بيان الاصطلاح، ابن دقيق العيد: ص ٣١١- ٣١٢.

[٦] معرفة علوم الحديث، الحاكم: ص١١٢.

[٧] المحدِّث الفاصل، الرامهرمزي: ص ٣١٨.

❉ مثال ذلك حديث مشهور «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» جاء في العلل الكبير للترمذي: "سألت محمدا عن هذا الحديث فقال: رواه الليث بن سعد ، عن ابن عجلان ، عن عبد الله بن هرمز ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ".[(٨)]

♦ القراءة في كتب العلل توقف الطالب على طرف من مناهج المحدثين الخاصة، ويفهم أن الرواية غير النقد، وأن للأئمة أغراض في ترتيب الأحاديث وسياقها، وأن إخراج الحديث في كتاب والسكوت عن علته لا يعني إقرار صحته وسلامته. مثال ذلك: مسند الإمام أحمد، روى فيه عدد لا بأس به من الأحاديث التي أعلها هو بنفسه في ما نقله عنه الخلال ووجد في منتخب ابن قدامة منه.

(٨) العلل الكبير، الترمذي: ص٢٦٣.

۞ المعالم الإرشادية لقراءة كتب العلل:

المعلم الأول

۞ **كتب العلل ليست خاصة بالعلل الخفية** كما ندرس في تعريف علم العلل، بل هي تشمل جميع العلل والأخطاء (الظاهرة، والخفية، القادحة وغير القادحة) وهو الذي جرى عليه الأئمة المتقدمون، يقول ابن الصلاح: "ثم اعلم: أنه قد يطلق اسم العلة على غير ما ذكرناه من باقي الأسباب القادحة في الحديث المخرجة له من حال الصحة إلى حال الضعف، المانعة من العمل به على ما هو مقتضى لفظ العلة في الأصل، ولذلك تجد في كتب علل الحديث الكثير من الجرح بالكذب، والغفلة، وسوء الحفظ، ونحو ذلك من أنواع الجرح، وسمى الترمذي النسخ علة من علل الحديث". (٩)

وقال العراقي في شرح الألفية: "وقد يُعِلُّوْنَ الحديثَ بأنواعِ الجرحِ، من الكذبِ، والغَفْلةِ، وسوءِ الحفظِ، وفسقِ الراوي وذلك موجودٌ في كتبِ عِلَلِ الحديثِ". (١٠)

(٩) معرفة أنواع علوم الحديث، ابن الصلاح: ص٩٣.

(١٠) شرح التبصرة والتذكرة، العراقي: ص ١/ ٢٨٨.

❋ مثال ذلك: سئل أبو حاتم عن حديث: «يا أكثم، اغز مع غير قومك تُحَسِّنْ خُلُقَكَ، وتَكْرُمْ عَلَى رُفَقَائِكَ» قال أبو حاتم: "أبو سلمة العاملي متروك الحديث، كان يكذب، والحديث باطل".[١١] فحديث هذا المتروك علته ليست خفية.

ووجود مثل هذه العلل الظاهرة في كتب العلل، لا يخلو من فائدة، من ذلك: أن بعض الأحكام في الجرح والتعديل على الرواة لا تجدها في كتب الرجال، كذلك معرفة طريقة النقاد في تحميل الخطأ لراو بعينه دون سائر الرواة... وغيرها.

---

[١١] علل الحديث، ابن أبي حاتم: ٦/ ١٤٥.

المعلم الثاني :

الأصل في كلام النقاد في كتب العلل أنه متوجه للإسناد أو الطريق المذكورة فقط، وليس للحديث من طرقه الأخرى، إلا أن تدل قرينة أنه يقصد الحديث من جميع طرقه.

وهذا المعلم مُهِمٌّ جدًا للباحث حتى لا يقع الخطأ في فهم كلام العلماء، فقد يصادف القارئ أحاديث منتقدة في كتب العلل وهي في «الصحيحين» فيحتار!!، والصحيح أن النقد موجَّهٌ لطريق معينة وهو صحيح من طريق آخر.[١٢]

يقول الشيخ مقبل الوادعي -رحمه الله- : "فعلى هذا لا يجوز لطالب علم أن يحكم على الحديث بالضعف بمجرد أن يراه في كتب العلل، فربما يكون صحيحاً من طريق أخرى، أو صحيحاً عن صحابي آخر، بل ربما يكون الحديث في «مجمع الزوائد» بسند ضعيف وهو في «الصحيحين» عن صحابي

---

[١٢] يقول الشيخ مقبل الوادعي: "فقد طلب مني بعض إخواني في الله أن أدرِّسهم في (كتاب العلل) لابن أبي حاتم؛ فقلت لهم: لا أستطيع أخشى أن نقرأ الحديث ونعتقد ضعفه، ويكون في (الصحيحين) أو غيرهما عن صحابي آخر أو من طريق أخرى عن ذلك الصحابي فهي تحتاج إلى حافظ يعلم أن الحديث في كتاب آخر صحيح كما تقدم، أو أنه مُعلٌّ من جميع طرقه"[غارة الفصل على المعتدين على كتب العلل ص ٨]

آخر".[13]

* مثال ذلك، قول ابن أبي حاتم في العلل: "وسئل أبي عن حديث رواه نوح ابن حبيب ، عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات ...» ؟

قال أبي: هذا حديث باطل ليس له أصل ؛ إنما هو: مالك، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة ابن وقاص، عن عمر، عن النبي ﷺ ".[14]

والمقصود أنه باطل من رواية (أبي سعيد الخدري) فهو خطأ من أحد الرواة، والحديث صحيح مشهور من رواية (عمر بن الخطاب) الذي تفرد به.

* مثال آخر، قال عبد الله في كتابه العلل -عن أبيه-: "فقلت لأبي تحفظ هذا من حديث أبي عاصم، عن سفيان، عن عبد الله بن أبي بكر، عن سعيد بن المسيب، عن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أدلكم على شيء يكفر الخطايا ويزيد في الحسنات قالوا بلى يا

---

(13) أحاديث معلة ظاهرها الصحة، مقبل الوادعي: ص٢٣.

(14) علل الحديث، ابن أبي حاتم: ٢/ ٢٦٤.

رسول الله قال إسباغ الوضوء عند المكاره» فقال أبي: هذا باطل -يعني من حديث عبد الله بن أبي بكر- قال أبي: إنما هو حديث بن عقيل وأنكره أشد الإنكار وقال ليس بشيء -يعني حديث عبد الله بن أبي بكر- قال هذا حديث بن عقيل".[15]

* وقد يوضح الناقد ذلك وقد لا يوضح، فمن التوضيح نقد أبي حاتم لحديث "أنس؛ قال: قال النبي ﷺ: «الصبر عند الصدمة الأولى». فقال أبي: هذا حديث باطل بهذا الإسناد ، وبيان شيخ مجهول".[16] قلت: والحديث مخرج في الصحيحين.

- وأما قرينة حكم المحدث على الحديث من جميع طرقه، فتستفاد بالتأمل والتتبع، فمثل ذلك قول الإمام أحمد:

فيما نقله الخلال: "قال إبراهيم بن الحارث: إن أبا عبد الله سئل عن حديث عقبة بن الحارث: "لو كان بعدي نبي لكان عمر"؟. فقال: اضرب عليه؛ فإنَّه عندي منكر".[17]

- ومنه قول الإمام أحمد في أحاديث وجوب التسمية على

---

[15] العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل- رواية ابنه عبد الله- : ٢/ ٥٥٧.

[16] علل الحديث، ابن أبي حاتم: ٥/ ٣٢٦.

[17] المنتخب من علل الخلال، ابن قدامة: ص ١٩٠- ١٩١.

الوضوء: "لا أعلم في هذا الباب حديثا له إسناد جيد".[١٨]

المعلم الثالث

عبارات النقاد في كتب العلل دقيقة ومختصرة، وبعضها إشارات ورموز، ينبغي على القارئ معرفتها ومعرفة مدلولاتها لفهم كلام النقاد، فمن ألفاظ الترجيح التي تفيد ترجيح طريق على طريق (هذا أشبه- هذا أصح- هذا أقرب- هذا أكثر- هذا أشهر) والمقصود منها أن القرائن والمعطيات تدل على أن هذه الطريق هي الصواب وغيرها وهم.

◄ مع الانتباه إلى قضية جد مهمة في كتب العلل وهي:

النقاد يبحثون في الخطأ والصواب وليس في الصحيح والضعيف، فقد يكون الضعيف هو الصواب، والصحيح هو الخطأ، فلينتبه طالب العلم.

---

[١٨] العلل الكبير، الترمذي: ص ٣٢.

قال الإمام النووي: "لا يلزم من هذه العبارة صحة الحديث فإنهم يقولون: (هذا أصح ما جاء في الباب) وإن كان ضعيفًا ومرادهم أرجحه، أو أقله ضعفًا"[١٩]

❋ مثال ذلك قول ابن أبي حاتم: "وحدَّثنا أَبُو زُرْعَةَ، عن عبد العزيز الأويسي؛ قال: حدثنا مالك، عن ابن شهاب، أنه قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال لرجل من ثقيف أسلم وعنده عشر نسوة: «أمسك أربعا، وفارق سائرهن». فسمعت أبا زرعة يقول: مرسل أصح".

فقول الناقد هذا أصح ليس تصحيحا للحديث، بل تصويبا للواقع الصحيح للرواية، وفي هذا المثال الواقع الصحيح أن الحديث مرسل، والمرسل من أقسام الضعيف.

◄ كذلك قول الناقد: (الصحيح كذا)، لا يقصد به تصحيح الحديث، ففي علل ابن أبي حاتم مثلا: "وسئل أبو زرعة عن حديث رواه إسماعيل بن عياش ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «إذا قاء أحدكم في صلاته، أو رعف، أو قلس ؛ فلينصرف فليتوضأ ، ثم يبني على ما مضى من صلاته ما لم يتكلم» قال أبو زرعة:

---

[١٩] الأذكار، النووي: ص ١٨٦.

هذا خطأ؛ الصحيح: عن ابن جريج، عن أبيه، عن ابن أبي مليكة، عن النبي ﷺ، مرسل".[20]

المعلم الرابع

❁ ينبغي فهم كلام النقاد في كتب العلل في ضوء المعاني **الاصطلاحية واللغوية والعرفية الشائعة في عصرهم،** وليس بالمعاني الاصطلاحية المشهورة في عصرنا، فكثر من الخلل دخل على طلبة العلم، **بسبب إنزال مصطلحاتنا المعاصرة على كلام أئمة النقد المتقدمين،** فوقع الخلل في فهم العبارات وتوجيهها.

- والملاحظ أن عبارات الأئمة واسعة وهي أقرب إلى المعاني اللغوية منها إلى الاصطلاحية، فيستعملون مثلا: المنكر في الخطأ الشائع، والمرسل بمعنى المنقطع، ومضطرب المتن بمعنى أنه مروي بالمعنى، مختصر بمعنى أنه مروي بالمعنى، فعلى الطالب فهم كلامهم في ضوء المعطيات التي يجمعها حول الحديث، لا في ضوء ما اشتهر من كتب المصطلح.

---

[20] علل الحديث، ابن أبي حاتم: ٢/ ٤٥٩.

❋ وهذه بعض الأمثلة:

- (**المنكر**) عندنا هو ما تفرد به الضعيف أو خالف به غيره ممن هو أولى منه، ولكن لفظ المنكر عند النقاد أوسع فيطلقونه على: الخطأ الفاحش ولو كان صادرا من ثقة.

قال المرُّوذي: "قلت لأحمد: تعرف عن الوليد، عن الأوزاعي، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: متى كُتبتَ نبيًّا؟ قال: هذا منكر، هذا من خطأ الأزواعي، هو كثيراً مما يخطئ عن يحيى بن أبي كثير، كان يقول: عن أبي المهاجر، وإنما هو أبو المهلب"[٢١]

قلت: الأوزاعي إمام ثقة مشهور، ومخالفته لمن هو أولى منه، نسميها على اصطلاحنا شذوذا، ولكن لا يمكن أن نلزم الإمام أحد بإصطلاحنا.

- (**المضطرب**) في كتب المصطلح هو ما روي بأوجه مختلفة متساوية ولا يمكن الترجيح، أما في استعمال النقاد في كتب العلل فهو أقرب إلى المعنى اللغوي، وهو الاختلال، لذلك يقولون هو مضطرب ثم يرجحون.

- مثال ذلك: قول البخاري في حديث حفصة: "«من لم

[٢١] العلل ومعرفة الرجال، الإمام أحمد – رواية المروذي - : ص ١٥٠.

يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له»...عن سالم، عن أبيه، عن حفصة، عن النبي ﷺ. خطأ وهو حديث فيه اضطراب، والصحيح عن ابن عمر موقوف".[22]

وهكذا قول أبي حاتم الرازي في حديث العلاء بن المسيب يرفعه: "«قال الله عزَّ وجلَّ: إنَّ من أَصْحَحْتُهُ، وأوسعتْ له؛ لم يزرني في كلِّ خمسة أعوامٍ لمحروم؟» هو مضطرب...ثم قال: العلاء بن المسيب، عن يونس بن خباب، عن أبي سعيد، موقوفٌ مرسلٌ أشبه".[23]

- وأعظم منه قول أبي حاتم الرازي فيما نقله عنه ابنه عبد الرحمن في العلل قال: "وسألت أبي عن حديث حدثنا به محمد بن عوف، عن علي بن عياش، عن شعيب بن أبي حمزة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر؛ قال: «كان آخر الأمر من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار». فقال أبي: **هذا حديث مضطرب المتن**؛ إنما هو: «أنَّ النبي ﷺ أكل كتِفاً، ثم صلى ولم يتوض»؛ كذا رواه الثقات عن ابن المنكدر ويمكن أن يكون شعيب بن أبي حمزة حدَّث من حفظه؛

[22] العلل الكبير، الترمذي: ص ١١٧.

[23] انظر، علل الحديث، ابن أبي حاتم: ٣/ ٢٨٢- ٢٨٣.

فوهم فيه".[٢٤]

فالمضطرب هنا ليس على اصطلاحنا، بل بمعنى المختل، والعلة الواقعة هي الاختصار المخل، وليست الاضطراب في المتن، قال ابن حجر: "وقال أبو داود: هذا اختصار من حديث: «قَرَّبْتُ للنبي ﷺ خبزاً ولحماً فأكل، ثم دعا بوَضوء فتوضأ قبل الظهر، ثم دعا بفضل طعامه فأكل، ثم قام إلى الصلاة ولم يتوضأ»".[٢٥]

---

[٢٤] علل الحديث، ابن أبي حاتم: ١/ ٦٤٥. و ٢/ ٠٧- ٠٨.

[٢٥] التلخيص الحبير، ابن حجر: ١/ ٢٠٥. وانظر، سنن أبي داود: ١/ ١٣٨.

المعلم الخامس

كتب العلل ليست على نهج واحد ولا على درجة واحدة من حيث سهولة اقتناص الفوائد وصعوبة القراءة فيها، فلكل كتاب ميزة يتميز بها عن غيرها من الكتب، ومعرفة خصائص كتب العلل مهمة جدا.

- ولو أردنا أن نصنف كتب (علل الحديث) من ناحية التدرج والارتقاء في هذا الفن، نقول:

١- يبدأ الطالب المرحلة الأولى بالاطلاع على هذه الكتب (العلل الصغير للترمذي، التمييز للإمام مسلم)

٢- ثم يرتقي للقراءة في كتاب (العلل لابن المديني، والعلل الكبير للترمذي)

٣- ثم يرتقي إلى كتب (العلل ومعرفة الرجال عن الإمام أحمد- بمختلف رواياته-، والعلل لابن أبي حاتم الرازي)

٣- ثم إذا علا كعبه ينتقل (كتاب العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني) وهو أصعب كتاب في العلل على طلبة العلم.

◄ وأما من ناحية الميزات وطريقة التصنيف، فيمكننا إجمال ذلك فيما يلي:

* كتاب «علل الحديث» لشيخ الصنعة علي بن المـديني، من أهم خصائصه: اعتنائه الشديد بمسـألة سـماع الـرواة، حيث حرص على بيان من سمع ومن لم يسـمع مـن بعـض الرواة وأكثر من ذلك.

* كتاب «التمييز» للإمـام مسـلم بـن الحجـاج، ، مـن مميزات الكتاب: أنَّه مُبَوَّبٌ، وأن مسلما يشرح مكمـن العلـة بإسهاب ويسوق الطرق، ومن أخص خصائص الكتـاب: أن مسلما اعتنى فيه بعلل المتون تصريحا لا تلميحا.

* كتاب «العلل الكبير» للترمذي: جلُّـه سـؤالات الإمـام الترمذي لمحمد بن إسماعيل البخـاري عـن أحاديـث، وهـو مرتب على الأبواب الفقهية.

* كتاب «العلل» لابن أبي حاتم: معظمه سؤالات وجهها عبد الرحمن ابن أبي حاتم لأبيه، وأبي زرعة الـرازي، وفيهـا بعض المسائل المعدودة، علي بن الحسين بن الجنيد، ومحمـد بن عوف الحمصي.

- من خصائص هذا الكتـاب أنـه: مرتـب عـلى الأبـواب الفقهية، وعبارة التعليل في الغالب واضحة، مع بيان موضـع العلة وشيء من قرائن التعليل.

* كتاب «العلل الواردة في الأحاديث النبوية» هـو بحـق موسعة ضخمة لعلل الأحاديث، مرتـب عـلى المسـانيد يبـدأ

بمسند (أبي بكر) ثم مسند (عمر رضي الله عنهما)....

قال الإمام الذهبي :"وإذا شئت أن تبين براعة هذا الإمام الفرد فطالع العلل له فإنك تندهش ويطول تعجبك".[٢٦]

- من أخص خصائص هذا الكتاب التوسع في استحضار الطرق والمتابعات، واعتناؤه الشديد بالاختلاف والإعلال بقرينة المخالفة.

لذلك كثرت الرسائل العلمية في استخراج ذلك، بعنوان: (الأحاديث المعلة بالاختلاف في مسند....من علل الدارقطني جمعا ودراسة)..(مرويات...المعلة بالاختلاف في علل الدارقطني جمعا ودراسة).

[٢٦] تذكرة الحفاظ، الذهبي: ٣/ ١٣٣.

المعلم السادس

❁ **كتب العلـل مليئـة بنقـد المتـون وتعليلهـا، ولا يستطيع الطالب إدراك ذلـك إلا بإمعـان النظـر**، وفهـم الكلام، واستحضار متن الحديث المنتقد.

وقد ظن بعض أهل العلم أن كتب العلل خالية مـن نقـد المتون مختصة بنقد الأسانيد، وهذا خطـأ نـاجم عـن عـدم إدراك طريقة النقاد في كتب العلل.

يقول الدكتور مسفر الدميني- رحمه الله- : "ومن الكتب المؤلفة في نقد الأحاديث كتب العلل، لكنَّها كمـا هـو معلـوم مختصَّة بعلل الأسانيد فقط، ومن كتب العلل: (علل الحديث ومعرفة الرجال) لابن المديني، وقد راجعته كلَّـه فلـم أجـده يعلِّل حديثاً واحدا بالنظر إلى متنه، وكـذلك كتـاب: (العلـل ومعرفة الرجال) لأحمد بن حنبل، وكتاب (التاريخ والعلـل) ليحيى بن معين- مخطوط- وكتاب العلل للترمـذي في آخـر سننه، وقد شرحه ابن رجب الحنبلي، وراجعته كلَّه فلم أجـد فيه ما يتعلَّق بالمتون، وكتاب (علل الحديث) لابن أبي حاتم- في مجلدين- وهو أكبر كتـاب مطبـوعٍ في العلـل، ذكـر فيـه (٢٨٤٠) حديثا. وليس فيه تعليـلٌ للمتـون، بـل كـلُّ ذلـك للأسانيد، وهذه العناية الفائقة بالأسانيد، المصحوبة بإغفال للمتون كانت دافعا قوياً ودليلا صريحاً على عدم العناية بنقد

المتون، وهذا حقٌّ بـالنظر إلى هـذه المؤلفـات المـذكورة وإلى مؤلفيها، ولكن بالنسبة إلى المحدثين جميعا فيه ظلم...". [٢٧]

وذلك أن النقاد لا يصرحون بنقدهم، بل يشيرون إلى ذلك إشارات يفهم اللبيب منها أنها تعليل للمـتن أو لفظـة منـه، فيقولون (هذا خطأ- هذا غلط- هذا غير محفـوظ- منكـر- باطل) ومقصوده خطأ في المتن أو لفظة منه.

يقول الإمام المعلمي: "مَنْ تتبَّـع كتـبَ تـواريخ رجـال الحديث وتراجمهم وكتب العلل وجـد كثـيرًا مـن الأحاديـث يطلق الأئمة عليها: (حديث منكر. باطـل. شِـبْه الموضـوع. موضوع). وكثيرًا ما يقولون في الـراوي: (يُحـدِّث بالمنـاكير. صاحب مناكير. عنده مناكير. منكر الحـديث). ومـن أَنعـمَ النظرَ وجد أكثر ذلك من جهة المعنى". [٢٨]

فكتب العلل مليئة بنقد المتون، لكن لا تظهر تلك النقدات إلا بعد تدبر وتأمل، وقد كتـب فيهـا د. سـلطان بـن فهـد الطبيشي رسالته للدكتوراه (نقد المتون في كتب علل الحديث، جمع ودراسة). وكاتـب هـذه الأسـطر رسـالته للـدكتوراه بعنوان: (مسالكُ نقد المتن عند نقَّاد الحديث في القرن الثالث

---

[٢٧] مقاييس نقد متون السنة، مسفر الدميني: ص ٢٤٤.

[٢٨] الأنوار الكاشفة، المعلمي: ص ٢٦٤.

الهجري) استخرجت من خلالها عشرات الأمثلة من كتب العلل والتواريخ والسؤالات، وبينت طرائق مسالك النقاد في تعليل المتون في ذلك العصر.

* مثال ذلك: الإمام أحمد أخرج حديثا في مسنده، واستنكره في العلل من رواية الخلال:

قال الخلَّال: "أخبرني عصمة: نا حنبل: حدثني أبو عبد الله: ثنا سريج، ثنا عبد الله بن نافع، ثنا ابن أبي ذئب، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة، قال: جَلَسَ إلى النبي ﷺ رجلٌ، فقال له رسول الله: «مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟». قال: بربريٌّ. قاله له رسول الله ﷺ: «قُمْ عَنِّي!»، ومالَ بمرفقِهِ كذا، فلمَّا قام أقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: «إِنَّ الإيمانَ لا يَجُوزُ حَنَاجِرَهُمْ». قال أبو عبد الله: هذا حديثٌ منكرٌ".[29]

وهذا الحديث منكر من جهة المتن، إذ البربر لم يثبت أنهم التقوا بالنبي ﷺ، والنبي ﷺ لا يحكم حكما عاما -بضعف الإيمان- على جماعة من الناس بحكم انتمائهم الجغرافي.

* مثال آخر- إعلال متن الحديث بمخالفة الراوي مرويه: منها ما نقل عنه الأثرم قال: "سألتُ أبا عبد الله، عن

---

(29) المنتخب من العلل للخلال، ابن قدامة المقدسي: ص ٦٧.

حديث ابن عباس، بأيِّ شيء تدفَعُهُ؟ فقال: أَدْفَعُهُ بروايةِ الناسِ عن ابن عباس من وجوهٍ خلافَهُ. ثم ذكر عن عدَّة، عن ابن عباس من وجوهٍ، أنَّها ثلاث.

وهذا فيه رد على من ادعى أن المحدثين لا ينتقدون المتون بالعرض على أصول أخرى، وإنما يكتفون بنقده داخليا فقط، وقد قال به بعض الأفاضل من المعاصرين في كتابه حول نقد الحديث، فجانب الصواب، والله أعلم.

المعلم السابع

❁ **الغالب على النقاد كتب العلل أنهم يتفقون في أحكامهم النقدية على الأحاديث،** وتصويب بعض الطرق وتضعيف الأخرى، وهذا الاتفاق يجب مراعاته وعدم الخروج عنه، وهو من الدلائل أن هذا العلم إلهام.

ففي قصة الرجل من أهل الرأي الذي سأل أبا حاتم وأبا زرعة عن أحاديث، ثم قال: "ما أعجب هذا! تتفقان من غير مواطأة فيما بينكما. فقلت: فقد دلَّك، أنَّا لم نجازف".[٣٠]

وقال الإمام الذهبي: "وإن لم يكن للإنسان ذوق النقاد، وبصر الحفاظ، وإلا فإنَّه يضعِّف الحديث القوي، ويصحِّحُ الحديث الواهي، مع أن أئمة هذا الشأن تختلف اجتهاداتهم، وتتقارب معارفهم وأذواقهم، لكن يقلُّ ذلك وفيهم يندر".[٣١]

- لكن قد يختلف النقاد في الحكم على الأحاديث تصحيحا وتعليلا، لأن الأمر متعلق بالقرائن وهي مختلفة من ناقد إلى آخر، فالناظر مثلا في كتاب علل الحديث لابن أبي حاتم يجد بعض الأمثلة يختلف فيها أبو حاتم مع أبي زرعة، وهذا الاختلاف على أنواع:

---

(٣٠) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ١/ ٣٥٠.

(٣١) ذيل ديوان الضعفاء، الذهبي: ص ١٥.

١- الاتفاق على تعليل الحديث، والاختلاف في تعيين الراوي الذي وقع منه الخطأ.

٢- الاختلاف في الحكم على الحديث، فأحدهما يصحح والآخر يعل الحديث.

٣- الاختلاف في تصحيح قطعة أو لفظة من الحديث، فناقد يثبتها وآخر يعلها.

* مثال: قال ابن أبي حاتم: "وسألتُ أَبَا زُرْعَةَ عَنْ حديثِ خَالِد بْن سَلَمة ، عَنِ البَهِيِّ ، عَنْ عُرْوَة، عَنْ عائِشَة؛ قَالت: كان النبي ﷺ يذكُرُ اللهَ تعالى عَلَى كُلِّ أَحْيانِه؟

فَقَالَ: ليسَ بذاك، هُوَ حديثٌ لا يُروى إلا مِنْ ذا الوَجْهِ فذكرتُ قول أَبِي زُرْعَةَ لأَبِي ـح، فقال: الذي أرى أَنْ يُذكَرَ اللهُ عَلَى كُلِّ حالٍ، عَلَى الكَنِيفِ وغيره؛ عَلَى هَذَا الحديثِ ".[٣٢]

* مثال آخر: ابن المديني يعلُّ طرفا من المتن بالإدراج، والبخاري يصحح رفعه، وهو حديث: أسامة بن زيد، قال: قلت: يا رسول الله، أين تنزل غدا؟ في حجته، قال: «هل ترك لنا عقيلٌ منزلا؟» ثم قال: «نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ الْمُحَصَّبِ، حَيْثُ قَاسَمَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْكُفْرِ».

---

[٣٢] علل الحديث لابن أبي حاتم: ١/ ٥٨٦- ٥٨٧.

قال ابن المديني: "إلا أنَّ معمراً أَدْرَجَهُ في حديث عليٍّ بن حسين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة بن زيد: «وهَلْ ترك لي عقيلٌ مَنْزِلا» فأدرج الكلام فيه: «مَنْزُلُنَا غَدًّا». وقد رواه محمد بن أبي حفصة، عن الزهري، عن علي بن حسين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة، ولم يذكر فيه: «منزلنا بالخيف»".[٣٣]

قلت: هذا من الخلاف العالي، فالبخاري رجح أن الزيادة ليست مدرجة، وتبعه على ذلك الدارقطني في علله.

---

(٣٣) العلل، ابن المديني: ص ٧٧.

۩ المعلم الثامن ۩

❁ **كتب علل الحديث تعد منجما ضخما لأفكار بحثية حديثية**، لاحتوائها على مادة علمية متنوعة ليست في العلل فحسب، بل حتى في الجرح والتعديل، ومختلف الحديث، وفوائد أخرى تاريخية ووعظية.

فعلى طلبة العلم أثناء مطالعة وجرد كتب العلل تسجيل الملاحظات، وتقييد الفوائد، وجمع النظير إلى نظيره، لاستخراج منهج التعليل، وفهم نقد العلماء المتقدمين، وقد وضعت دراسات لا بأس بها حول كتب العلل، ولكن مازالت أشياء كثيرة تستحق البحث والتنقيب.

❋ فمن تلكم الأفكار بحثية:

- استخراج القواعد النقدية والقرائن من كتب علل ابن أبي حاتم وغيرها من الكتب. يقول البخاري مثلا: "وليس في زكاة العسل شيء يصح".[٣٤]

- صنع معجم للمصطلحات النقدية في كتب العلل، تسهل على المبتدأ فهم المصطلحات الخاصة بالتعليل (لزم الطريق- هذا أشبه- اضرب على هذا الحديث) ولم أجد من كتب فيها من المعاصرين.

---

(٣٤) العلل الكبير، الترمذي: ص ١٠٢.

- الأحاديث التي أعلها فلان وأخرجها فلا في كتابه.

- الفوائد في الجرح والتعديل، ومختلف الحديث، شرح الغريب، وتوجيه المشكل ، والعمل بالحديث الضعيف من خلال كتب العلل.

◄ من فوائد كتب العلل كلام في تراجم الرواة والتنبيه على المراسيل، ومن سمع من فلان ومن لم يسمع منه، لا تجده في الكتب الأخرى، فيمكن استخراج مادة علمية غزيرة في المراسيل من كتب العلل.

◄ لا تخلو كتب العلل من فوائد لغوية، وأخرى سلوكية تربوية، وأخرى تاريخية، متعلقة بالرواة والمرويات.

- ففي علل الإمام أحمد- راوية عبد الله: " حدثنا عبد الله قال سمعت محمد بن سلام الجمحي يقول قال خالد الواسطي، قال خالد الحذاء: ما حذوت نعلا قط إلا أني تزوجت امرأة من بني مجاشع في الحذائين فنسبت إليهم".[٣٥]

- وفيه كذلك: "سألت أبي: أيُّ القراءة أحب إليك قال قراءة المدينة، فإن لم تكن فقراءة عاصم، قال وأكره من

(٣٥) علل الإمام أحمد، -رواية عبد الله-: ١/ ٢٨٦.

قراءة حمزة الكسر الشديد والإضجاع".[٣٦]

وغيرها من الفوائد التي يجب تقييدها عسى أن ينتفع بها طالب العلم يوما ما.

هذا الذي أردت إيضاحه من المعالم الإرشـــادية في قــراءة كتب العلل، على سبيل الاختصـــار والتقريـــب، والله أســـال أن ينفع بها طلبة العلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[٣٦] علل الإمام أحمد، -رواية عبد الله-: ٣/ ١٢٠.